شرح مقدمة التفسير لابن قاسم

المجلس الخامس

برنامج لدليل ١٤٤٦هـ

الحمد لله . . أما بعد:

فيقول المؤلف رحمه الله تعالى:

(سَبَبُ الاخْتِلافِ)

أي: ذكر سبب الاختلاف بين الناس في تفسير القرآن.

(مِنهُ: ما مُستَنَدُهُ النَّقلُ، أَوِ الاسْتِدلالُ)

أي: من الاختلاف في التفسير: ما مستنده النقل، والمرجع فيه إلى الصحة، ومن يُقبل منه، ومنه: ما يُعلم بغير النقل، وهو: ما مستنده الاستدلال، والمرجع فيه إلى صحة الاستدلال، إذ العلم إما نقل مصدق، وإما استدلال محقق.

(والْمَنقُولُ: إِمَّا عَن الْمَعصومِ أَوْ لا)

أي: والمنقول في التفسير وغيره إما أن يكون عن المعصوم صلى الله عليه وسلم أو عن غيره من الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم.

ومن المنقول ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف، وما يحتاج المسلمون إلى معرفته، فإن الله نصَب على الحق دليلا، وما لا يمكن فلا طريق بالجزم بالصدق منه، فالبحث عنه مما لا فائدة فيه.

ومثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه: الاختلاف في أصحاب الكهف، وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة، وفي مقدار سفينة نوح، وفي اسم الغلام الذي قتل الخَضِر، ونحو ذلك، فهذا طريقة العلم به النقل، فما كان منقولا نقلا

صحيحا، عن المعصوم، كاسم صاحب موسى أنه الخضر، فمعلوم، وما لم يكن كذلك بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب فلا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة، وكذا ما نُقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون، لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض.

(فالْمَقصودُ: وَإذا جاء عنهُ مِن جِهتين أو جِهاتٍ - مِن غَيرِ تَواطُءٍ – فَصَحيحٌ)

أي وإذا جاء التفسير عن المعصوم صلى الله عليه وسلم من جهتين، من غير تواطؤ فصحيح، لاعتضاد أحدهما بالآخر، أو جاء عن المعصوم من جهات، وقد عُلم أن المخبرين لم يتواطئوا على اختلافه وعلم أن ذلك لا تقع الموافقة فيه اتفاقا بلا قصد، فهو صحيح.

(وكَذا الْمَراسيلُ إذا تَعَدَّدَت طُرُقُها)

المراسيل: جمع مُرسَل، وهو قول التابعي: قال رسول الله كذا أو فعل كذا.

أي وكذا المراسيل إذا تعددت طرقها، وخلت عن المواطأة قصدا أو الاتفاق بغير قصد، كانت صحيحة قطعا.

(وخَبَرُ الواحِدِ إذا تَلَقَّتْهُ الأُمَّةُ بالقَبولِ أوجَبَ العِلمَ)

جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له وعملا به أنه يوجب العلم، إلا فرقة من المتأخرين اتبعوا طائفة من أهل الكلام، وقالوا إنه لا يفيد العلم.

وقال في مختصر الصواعق المرسلة: (فهذا الذي اعتمده نفاة العلم عن أخبار رسول الله خرقوا به إجماع الصحابة المعلوم بالضرورة بإجماع التابعين وإجماع أئمة الإسلام، ووافقوا به المعتزلة والجهمية والرافضة والخوارج الذين انتهكوا

هذه الحرمة، وتبعهم بعض الأصوليين والفقهاء، وإلا فلا يعرف لهم سلف من الأئمة بذلك بل صرح الأئمة بخلاف قولهم)[1].

ومن له إلمام بالسنة، والتفات إليها، يعلم ذلك.

(والْمُعتبَرُ في قَبولِ الخَبَرِ: إِجماعُ أَهلِ الحديثِ)

كما أن المعتبر في الإجماع على الأحكام بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة، ولا تجتمع الأمة على خطأ فإذا أجمعوا على حكم جزمنا بأنه ثابت، فكذلك في قبول الأحاديث يرجع إلى كلام المختصين به من أهل الحديث.

(ولَهُ أدِلَّةٌ يُعرَفُ بِها أَنَّهُ صِدقٌ)

أي وللخبر الوارد من طريق أو طرق أدلة شرعية، يُعرف بها أنه صدق لموافقته الأصول الشرعية.

(وعليه أدلّةٌ يُعرَفُ بِها أَنَّهُ كَذِبٌ)

لمناقضته الأصول الشرعية، يَعلم ذلك من له إلمام بأصول الشرع، وإطلاع تام، وذهن ثاقب، وفهم قوي، ومعرفة بالقرائن الدالة على ذلك.

(كما في تَفسيرِ الثَّعلَبي)

الثعلبي هو أحمد بن محمد بن إبراهيم، المتوفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة، له التفسير الكبير، اختصره البغوي، قال الشيخ: هو نفسه فيه خير ودين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع.

(والواحِدِيِّ، والزَّمَخشَري)

الواحدي: هو علي بن أحمد بن محمد بن علي، معروف بالواحدي، له البسيط

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص٥٥٣.

والوسيط والوجيز في التفسير.

والزمخشري، هو محمود بن عمر صاحب الكشاف.

وذكر الشيخ: أن في كتب التفسير، من الموضوعات شيء كثير، وقال: مثل ما يرويه الثعلبي، والواحدي، والزمخشري في فضائل سور القرآن، سورة سورة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم.

(وهُو قليلٌ في تَفسيرِ السَّلفِ)

أي والخبر الذي عليه أدلة يُعرف بها أنه كذب، قليل في تفاسير السلف، وأكثرهم يوضح ذلك، كابن كثير، ويورده بسنده ليُعلم ذلك.

(وما نُقِلَ عَن بَعضِ الصّحابَةِ نَقلاً صَحيحًا فالنَّفسُ إِليهِ أَسكَنُ مِما نُقِلَ عَن بَعضِ التّابعينَ)

لأن الصحابة رضي الله عنهم، أخذوا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفاظه ومعانيه، وكانت عنايتهم بأخذ المعاني أعظم من عنايتهم بالألفاظ، ورأوا من الأحوال المشاهدة، وعلموا بقلوبهم من مقاصده ما يتعذر على من بعدهم مساواتهم فيه.

(والإسرائِيلِيّات: تُذكَرُ للاستِشهادِ لا للاعتمادِ)

ففي شرع محمد صلى الله عليه وسلم غنية عنها، وشريعته ناسخة لشريعة من قبله.

(وما عُلِمَت صِحَّتُهُ مما شَهِدَ لَهُ الشَّرعُ فَصَحيحٌ)

يعرفه من له بصر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

(وما خالَفَهُ: فَيُعتَقَدُ كَذِبُهُ)

لما تقرر من تحريفهم وتبديلهم.

(ومَا لَم يُعلَم حُكمُهُ في شَرعِنا لا يُصَدَّقُ وَلا يُكَذَّبُ)

إلا بحجة لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»، قال الشيخ: وكذا ما نقل عن بعض التابعين، ولو لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب.

(وَغالِبُهُ لا فائِدَةَ فيهِ)

أي: وغالب ما في الإسرائيليات لا فائدة فيه.

(وَالخَطَأُ الواقِعُ في الاستِدلالِ مِن جِهَتَينِ: قِسْمٌ مِمَّن تَقَدَّمَ ذِكرُهُم مِن الْمُبتَدِعَةِ بَعدَ تَفسيرِ الصَّحابَةِ والتَّابعينَ وتابِعيهِم حَمَلُوا أَلفاظَ القُرآنَ عَلَيها)

أي: قسم ممن جاء بعد الصحابة والتابعين، اعتقدوا معاني، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليها، وراعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، وهم تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يُرَد به، وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا تفسيره أو إثباته من المعنى باطلا.

(أَوْ فَسَّرُوهُ بِمُجَرَّدِ ما يَسوغُ أَن يُرِيدُوهُ مِمَّا لا يَدُلُّ على المرادِ مِن كلامِ اللهِ بِحالٍ)

أي والقسم الثاني فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريدوه بكلامه، ممن كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به، وهو مما لا يدل على المراد من كلام الله بحال، وإنما راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام.

(وَتَبِعَهُم كَثيرٌ مِنْ الْمُتَفَقِّهَةِ؛ لِضَعفِ آثارِ النُّبُوَّةِ) فيهم، ولضعف الهمم، وتشعبها والاشتغال بما لا يجدي.

(والعَجزِ والتَّفريطِ، حتَّى كانوا يَرْوُونَ ما لا يَعلمونَ صِحَّتَهُ)

أي والعجز عن معرفة معاني القرآن العزيز، والتفريط في التحصيل حتى أخطئوا في الاستدلال.

(وقد يكون الاختِلافُ لِخَفاءِ الدَّليلِ والذّهولِ عَنهُ)

لما بهم من الوهن عن التفتيش عنه.

(وَقدْ يكونُ لِعدَمِ سَماعِهِ، وَقد يكونُ للغَلَطِ في فَهمِ النَّصِّ، وَقَد يَكونُ لاعِتقادِ مُعارِضٍ راجحٍ)

وغير ذلك مما هو من أسباب الاختلاف، قال الشيخ: وكثير من الكتب المصنفة في أصول علوم الدين وغيرها نجد الرجل المصنف فيها في المسألة العظيمة، كمسألة القرآن، والرؤية والصفات، والمعاد، وحدوث العالم وغير ذلك، يذكر أقوالا متعددة والقول الذي جاء به الرسول، وكان عليه سلف الأمة ليس في تلك الكتب، ولا عرفه مصنفوها ولا شعروا به.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

(التَفسير)

أي: ذكر أحكام التفسير وما لا بد للمفسر منه، والتفسير هو البيان والكشف.

(التَّفسيرُ: كَشفُ مَعانِي القُرآنِ وبَيانُ المرادِ مِنهُ)

فهو علم يُفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه.

(قيلَ: بَعضُهُ يكون مِن قِبَلِ[1] الألفاظِ الوجيزة وكَشفِ معانيها، وبَعضُهُ مِن قِبَلِ ترجيحِ بَعضِ الاحتمالاتِ على بعضٍ)

فالتفسير قد يكون لمعنى لفظ غير واضح، فالمفسر يبين معناه، وقد يكون للمفسرين في معنى الآية أقوال متعارضة فيرجح المفسر بينها على ضوء قواعد هذا العلم.

(وأجمَعوا: على أنَّ التَّفسيرَ مِن فُروضِ الكِفاياتِ)

للحاجة إليه، وما أُنزل القرآن الكريم إلا ليُفهم، وقال الشيخ: معرفة معنى كل آية فرض على الكفاية، ولا يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية، بل معرفة ما لا بد منه.

(وهُو أجلُّ العلومِ الشَّرعِيَّةِ)

بالإجماع بل القرآن أصل العلوم، وفضله وفضل حامله مشهور معلوم، فإيضاحه وبيانه أجل العلوم، وأشرفها وأعلاها بل به عصمتنا، وسعادتنا في الدنيا والآخرة.

(وأَشرَفُ صِناعَةٍ يَتَعاطاها الإنسانُ)

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تعلموا عشر آيات، لم يجاوزوهن حتى يتعلموا معانيهن، والعمل بهن، وفي الخبر: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ وشرف كلام الله لا يخفى، فبيانه أشرف بيان وأفضله، وقال ابن عباس: الذي يقرأ القرآن، ولا يحسن تفسيره كالذي يهذ الشعر هذا.

---

(١) سقط كلمة (بسط) أي: من قبل بسط الألفاظ الوجيزة. من شرح الشيخ سعد الشثري.

(والْمُعتني بِغريبه لا بُدَّ لَهُ مِن مَعرِفَةِ الحروفِ، وأكثَرُ مَن تكلَّمَ فيها النُّحاةُ)

أي: والمعتني بتفسير القرآن لا بد له من معرفته معنى الكلمة، وصيغتها ومحلها، ومعرفة الحروف، لاختلاف مواقعها، قال ابن عباس: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: في صلاتهم.

وقال في: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ الآية، فالأربعة الأُول يملكونها ملكا مطلقا، والأربعة الأخيرة ملكا مراعى، كما هو معروف في موضعه، والمراد هنا بالحروف: حروف المعاني، التي هي قسيمة الأسماء والأفعال، وباعتبار معانيها: إلى حروف استفهام وحروف نفي، وحروف تحضيض وغير ذلك.

وأكثر من تكلم في معاني الحروف النحاة، فيرجع في ذلك إلى كتبهم، وهي كثيرة مشهورة.

ومن هذه الكتب:

حروف المعاني والصفات؛ لأبي القاسم الزجاجي (ت: ٣٣٧هـ)، ومما ورد فيه:

(أَو، بِمَعْنى: التَّخْيِير، قَوْله تَعَالَى ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، وَتَكون بِمَعْنى: بل ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وَمِنْه (إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)).

وكتاب: الجَنى الداني في حروف المعاني، لبدر الدين المرادي (ت: ٧٤٩هـ)، ومن أمثلة ما ورد فيه:

(ألَا، حرف، يَرِد لثلاثة معان: الأول: استفتاح الكلام وتنبيه المخاطب. وهي تدخل على الجملة الأسمية، نحو " ألا إن أو لياء الله لا خوف عليهم " والفعلية نحو " ألا يوم يأتيهم ليس مصروفًا عنهم ". وعلامتها صحة الكلام بدونها. . .

الثاني: العرض. وهذه مختصة بالأفعال، نحو: ألا تنزل عندنا فتَحدَّث. . .

الثالث: الجواب. كقول القائل: ألم تقم. فتقول: ألا فتكون حرف جواب بمعنى: بلى. ذكره صاحب رصف المباني، وقال: إنه قليل شاذ).

(والأَسماءِ والأَفعالِ، وأَكثَرُ مَن تكلَّمَ فيها اللُّغَوِيّونَ)

أي وينبغي للمفسر معرفة معاني الأسماء والأفعال، وكذا الظروف.

وأكثر من تكلم في معاني الأسماء والأفعال أهل اللغة، فيرجع في ذلك إلى كتبهم، كالمحكم لابن سِيْده، وتهذيب اللغة للأزهري، والصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزأبادي، وأمثالها من كتب اللغة.

(ومِنهُ: معرفةُ ما وُضِعَ لهُ الضَّميرُ، وما يَعودُ عليه)

أي ومن معرفة غريب القرآن معرفة ما وضع له الضمير، وأصل وضعه للاختصار، قال تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ الضمير (لهم) وضع للمذكورين في الآية، وهم: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات ...).

ومنه: معرفة ما يعود إليه الضمير، فإنه لا بد له من مرجع يعود إليه ويكون ملفوظا به سابقا، نحو ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾، فالضمير في (ابنه) وهو الهاء يعود على مذكور، وهو نوح عليه الصلاة والسلام.

(والتَّذكيرِ والتَّأنيثِ، والتَّعريفِ والتَّنكيرِ)

أي على المفسر أن يعرف المذكر من المؤنث، والمعرفة من النكرة، وهذا يرجع إلى العلم بلغة العرب.

(والخِطابِ بالاسمِ والفِعلِ)

أي على المفسر أن يعرف الاسم والفعل، والاسم يدل على الثبوت والاستمرار، والفعل: يدل على التجدد والحدوث، وكذا يعرف السؤال، والجواب، والمصدر، والعطف، وغير ذلك.

(وأولى ما يُرجَعُ في غريبِهِ إلى: تَفسير ابنِ عبَّاسٍ وغيره من الصَّحابَةِ)

أي وأولى ما يرجع إليه في غريب القرآن تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وأصحابه ما يستوعب أكثر غريب القرآن، وتقدم أن أصح الطرق عنه طريق مجاهد، ولذلك اعتمده البخاري وغيره.

(ودواوين العرب)

لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ وقال سبحانه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ وقد احتج الصحابة، والتابعون رضي الله عنهم على غريب القرآن ومُشْكِله بشعر العرب، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الشعر ديوان العرب. فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه، وروي عنه من ذلك كثير، وتُقدَّم لغة قريش، ثم أهل الحجاز.

(ويُبحَثُ عن كونِ الآيةِ مُكمّلةً لِما قبلَها، أو مُستقلّةً)

أي: ويَبحث المفسر عن كون الآية من القرآن مكملة للآية التي قبلها ومرتبطة بها، لأن الكلام قد يتعلق بعضه ببعض، ولا يتم معنى الآية إلا بما بعدها، وكذا إذا كانت الآية الثانية تأكيدا للآية الأولى، أو مفسرة لها، ونحو ذلك، وقد تكون الآية الثانية مستقلة، غير ظاهرة الارتباط بالآية قبلها.

(وما وجه مُناسَبَتِها لِما قبلَها وكذا السور)

أي ويَبحث المفسر عن وجه مناسبة الآية لما قبلها من الآيات، وكذا السور يبحث عن وجه مناسبتها لما قبلها من السور، ووجه اتصالها بها.

(وَعن القراءة الْمُتواترةِ الْمَشهورَةِ والآحادِ وكَذا الشَّاذَّةِ؛ فَإنّها تُفسّر المَشهورةِ، وتُبيِّن معانيها)

أي على المفسر أن ينظر في القراءات، فقد تكون قراءة تفسر قراءة أخرى، وخير ما فسر به القرآن هو القرآن، فالقراءة المتواترة يمكن أن تفسرها قراءة متواترة مشهورة أو قراءة آحادية، أو حتى قراءة شاذة، لكن القراءة الشاذة لا يقرأ بها، وإنما يفسر بها القرآن.

(وإن كان لا تَجوزُ القِراءةُ بالشَّاذةِ إجماعًا)

فالقراءة الشاذة تعتبر في التفسير والإيضاح، وأما القراءة بها، فحكى ابن عبد البر وغيره: الإجماع على أنه لا تجوز القراءة بالشاذة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

(التِلاوَةُ)

أي: ذكر أحكام تلاوة القرآن العزيز، وتحسينها وبيان ما صُرف عنه الأكثر من فهم كتاب الله تعالى، والخشوع عند تلاوته، بتكلف المخارج ونحو ذلك وذكر بعض أحكام المصحف.

(تُستَحَبُّ تلاوة القرآن على أكملِ الأحوالِ، والإكثار منها)

أي يستحب أن يتلو المؤمن القرآن الكريم، وأن يكثر من تلاوته؛ ومن الأدلة الدالة على فضل قراءته:

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ» رواه البخاري ٤٩٣٧، ومسلم ٧٩٨، واللفظ للبخاري.

ومعنى (حافظ له) أي حافظ للقرآن عن ظهر قلب.

(مع السفرة الكرام البررة) السفرة جمع سافر ككتبة وكاتب، والسافر الرسول، والسفرة الرسل؛ لأنهم يُسفرون إلى الناس برسالات الله.

(يتعاهده) يضبطه ويتفقده ويكرر قراءته حتى لا ينساه.

(فله أجران) لتلاوته؛ ولتحمل المشقة فيها.

ولفظ مسلم: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ». وفي رواية لمسلم «وَالَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ لَهُ أَجْرَانِ»

(الماهر بالقرآن) هو الحاذق الكامل الحفظ، الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة؛ لجودة حفظه وإتقانه.

(ويتتعتع فيه) هو الذي يتردد في تلاوته؛ لضعف حفظه، فله أجران: أجر بالقراءة وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته.

قال أبو العباس القرطبي في المفهم ٢/ ٤٢٥: (قال المهلَّب: المهارة في القرآن: جودة التلاوة، بجودة الحفظ، ولا يتردّد فيه؛ لأنه يسره الله تعالى عليه؛ كما يسره على الملائكة، فهو على مثلها في الحفظ والدرجة، والسفرة: جمع سافر، وهم ملائكة الوحي، سُمُّوا بذلك لأنهم يسفرون بين الله وبين خلقه. وقيل: هم الكتبة، والكاتب يسمى: سافرًا، ومنه أسفار الكتاب. وعلى هذا فيكون وجه كونهم مع

الملائكة: أن حملة القرآن يبلغون كلام الله إلى خلقه، فهم سفراء بين رسل الله، وبين خلقه، فهم معهم؛ أي: في مرتبتهم في هذه العبادة. ويستفيد من هذا حملة القرآن: التحرُّز في التبليغ والتعليم، والاجتهاد في تحصيل الصدق، وإخلاص النية لله؛ حتى تصح لهم المناسبة بينهم وبين الملائكة.

وقوله: يتتعتع فيه؛ أي: يتردد في تلاوته عِيًّا وصعوبة. والتعتعة في الكلام: العِيُّ. وإنما كان له أجران؛ من حيث التلاوة؛ ومن حيث المشقة، ودرجات الماهر فوق ذلك كله؛ لأنه قد كان القرآن متعتعًا عليه، ثم ترقَّى عن ذلك إلى أن شُبِّه بالملائكة).

وأخرج البخاري ٥٠٢٧ بسنده عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا.

قوله: (وذاك) إشارة إلى هذا الحديث الذي رواه عثمان رضي الله عنه في فضل تعلم القرآن وتعليمه.

(مقعدي هذا) لأعلِّم الناس القرآن حتى أحصل على تلك الفضيلة.

ورواه البخاري ٥٠٢٨ أيضا بلفظ: «أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ممن رَغِب في هذا المقام، فقعد يعلِّمُ الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج، قالوا: وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة، رحمه الله تعالى.

وتعلم القرآنِ وتعليمُه يشمل تعلم قراءته وحفظه، كما يشمل تعلم معانيه

وتفسيره، وما دل عليه من أصول الإيمان وأحكام الشريعة، بل إن التدبر والفهم لكلامه الله تعالى والعمل به هو المقصود الأعظم، لقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾.

ويدخل في تعليم القرآن، مَن يعلم القرآن بماله، كمن ينفق على حلق القرآن ومدارسه ويدعمها فهو داخل بإذن الله تعالى في هذا الحديث.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى: (وفي صحيح البخاري «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وتعليمه يتناول: تعليم معانيه وما دل عليه من الأصول الإيمانية، والقواعد الشرعية، فإن المعنى هو المقصود) الدرر السنية ٩/ ٣٨.

وعن أَبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» قَالَ مُعَاوِيَةُ – أحد رواة هذا الحديث –: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ. أخرجه مسلم (٨٠٤).

(الزهراوين) سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما.

(كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان) قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه سحابة وغيرة وغيرهما قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين.

(كأنهما فرقان من طير صواف) وفي الرواية الأخرى كأنهما حزقان من طير صواف الفرقان والحزقان معناهما واحد وهما قطيعان وجماعتان يقال في الواحد فرق وحزق وحزيقة.

(من طير صواف) جمع صافة وهي من الطيور ما يبسط أجنحتها في الهواء.

(تحاجان عن أصحابهما) أي تدافعان الجحيم والزبانية وهو كناية عن المبالغة في الشفاعة.

(ولا يستطيعها) أي لا يقدر على تحصيلها.

وأخرج الترمذي في جامعه ٢٩١٠ عن عَبْد اللهِ بْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» وصححه الألباني.

(قوله (من قرأ حرفا من كتاب الله) أي القرآن (والحسنة بعشر أمثالها) أي مضاعفة بالعشر وهو أقل التضاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ والله يضاعف لمن يشاء، والحرف يطلق على حرف الهجاء والمعاني والجملة المفيدة والكلمة المختلف في قراءتها وعلى مطلق الكلمة، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»)[1].

وأخرج الترمذي ٢٩١٤ من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُقَالُ - يَعْنِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ -: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ

---

(١) تحفة الأحوذي ٨/ ١٨٣.

تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا» وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» وقال الألباني: حسن صحيح. ورواه أيضا أبو داود ١٤٦٤. والنسائي وابن ماجه.

قوله (يقال) أي عند دخول الجنة (لصاحب القرآن) أي من يلازمه بالتلاوة والعمل (وارق) أمر من رقي يرقى أي اصعد إلى درجات الجنة، وفي رواية أبي داود: اقرأ وارتق.

(ورتل) أي اقرأ بالترتيل ولا تستعجل بالقراءة (كما كنت ترتل في الدنيا) من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف (فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها)[1].

وروى الإمام أحمد ١١٣٦٠، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: " يقال لصاحب القرآن يوم القيامة إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه ".

قال محققو المسند: (صحيح لغيره . . . قال السندي: قوله: "اقرأ واصعد"، أي: ارتق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من القرآن، فمن استوفى جميع آياته استوى على أقصى درج الجنة، ومن قرأ جزءا منها كان صعوده في الدرج على قدر ذلك، وهذا معنى ما جاء في بعض الروايات: "فإن منزلتك آخر آية").

وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي ٨/ ١٨٦، ١٨٧.

صَوَافَّ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًّا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا» رواه الإمام أحمد (٢٢٩٥٠) وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/ ١٥٢: وهذا إسناد حسن. وقال البغوي في شرح السنة ٤/ ٤٥٤: وهذا حديث حسن غريب.

(كالرجل الشاحب) الشاحب المتغير اللون والجسم لعارض من مرض أو سفر ونحوهما وقد شحب يشحب شحوبا.

(وإن كل تاجر من وراء تجارته) أي يبتغي الربح من وراء تجارته.

(وإنك اليوم من وراء كل تجارة) معناه وأن ربحك اليوم أعظم من ربح كل تجارة.

(حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا) أي لا يمكن أهل الدنيا تحديد قيمتها.

(فهو في صعود ما دام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلا) أي سواء كانت القراءة هذًّاً بتشديد المعجمة أي بسرعة أو ترتيل[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ

---

(١) ينظر: الفتح الرباني للساعاتي ١٨/ ٦٩، ٧٠.

اللهِ وَخَاصَّتُهُ» رواه ابن ماجه ٢١٥، والإمام أحمد ١٢٢٩٢، قال البوصيري في مصباح الزجاجة ١/ ٢٩: (هَذَا إِسْنَاد صَحِيح رِجَاله موثقون) وصححه الألباني.

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ٧٩٧٧.

(هم أهل القرآن) أي حفظته العاملون به.

(أهل الله) بتقدير أنهم أهل الله أي أولياؤه المختصون به اختصاص أهل الإنسان به.

ويستحب أن يقرأه على أكمل الأحوال، بأن يكون متطهرا من الحدث الأصغر إن كان يقرأ من حفظه، ومستقبل القبلة، وليس عنده ما يشغله عن التلاوة، متحريا أفضل الأوقات، كبعد الفجر، لقوله ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال الشيخ: قراءة القرآن بعد الفجر، أفضل من قراءته آخر النهار، ومتهجدا آخر الليل أفضل لقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.

ولا بأس بالقراءة في كل حال، قائما، وقاعدا ومضطجعا وراكبا وماشيا، وتكره في المواضع القذرة، والأسواق التي يصيح فيها أهل الأسواق بالنداء، والبيع ويكره الجهر بها مع الجنازة.

وأما إن كان يمسك المصحف ليقرأ منه، فيجب أن يتطهر من الحدثين الأصغر والأكبر، وكذا لو كان محدثا حدثا أكبر فلا يجوز له قراءة شيء من القرآن الكريم.

(وهو أفضلُ من سائِرِ الذكرِ)

أفضل الذكر تلاوة كتاب الله عز وجل، بل هو أفضل ما يذكر الله به بعد الصلاة[1]، وقد رتب العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ما يُذكر الله به على مراتب

---

(١) في شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ١٩٩: (القراءة وهي أفضل الذكر).

أربع:

- الصلاة، فهي أفضل الذكر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ وهي مشتملة على قراءة القرآن والذكر بالتسبيح والتحميد والتهليل وغيره، وعلى الدعاء.
- تلاوة القرآن الكريم.
- الذكر بالتسبيح والتحميد وغيره.
- الدعاء[1].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ» رواه الترمذي ٢٩٢٦، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» وضعفه الألباني. وانظر: الضعيفة ٤٩٨٩.

وبعض القرآن أفضل من بعض، فما تكلم به في وصف نفسه المقدسة أفضل مما تكلم به في وصف خلقه، وصح أن الفاتحة هي أعظم سورة في كتاب الله عز وجل، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، وأعظم آية فيه: آية الكرسي.

(والترتيلُ: أَفضلُ من السُّرعةِ مع تبين الحروفِ)

وأما السرعة مع عدم تبيين الحروف فتكره أو تحرم، ومن الناس من إذا حدر كان أخف عليه، وإذا رتل أخطأ، ومنهم من لا يحسن الحدر، والناس في ذلك على ما يخف عليهم، فيستحب لكل إنسان ملازمة ما يوافق طبعه، ويخف عليه، فربما

---

(١) ينظر: الوابل الصيب ص٩٢، وينظر أيضا مجموع الفتاوى ٢٢/ ٤٧٨.

تكلف ما يشق عليه فيقطعه عن القراءة، والإكثار منها، ولا خلاف أن الأفضل الترتيل لمن تساوى في حالته الأمران.

(وأشدُّ تأثيراً في القلبِ)

أي أن الترتيل أكثر تأثيرا في قلب القارئ، فينتفع بقراءته أكثر من الإسراع، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاة القرآن وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ وهكذا كانت قراءته صلى الله عليه وسلم والسلف من بعده، وهذا هو أصل صلاح القلب.

(وينبغي إعطاء الحروفِ حَقَّها وتَرتيبُها)

حالة النطق بها، ورد الحرف إلى مخرجه، وأصله.

(وتلطيفِ النّطقِ بها)

على كمال الهيئة فإن التجويد حلية القراءة، وفي الحديث: «من أحب أن يقرأ القرآن غضا، كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد»، يعني ابن مسعود رضي الله عنه، وكان قد أعطي حظا عظيما في حسن الأداء، وكما أن الأمة متعبدة بفهم معاني القرآن، وإقامة حدوده فهي متعبدة بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه.

(من غيرِ إسرافٍ ولا تَعسُّفٍ ولا تكلُّفٍ)

ولا إفراط في مخارج الحروف ونحوها.

(ويُسنُّ تَحسينُ الصَّوتِ، والتَّرَنُّمُ بِخشوعٍ وحُضورِ قلبٍ وتَفكّرٍ وتَفهّمٍ، يُنفِذ اللفظ إلى الأسماعِ والمعاني إلى القلوبِ، قال الشيخُ في «زَيِّنُوا القُرآنَ بِأَصواتِكُمْ» هو: التَّحسينُ والتَّرَنُّمُ بِخشوعٍ وحُضورُ قلبٍ)

يسن لقارئ القرآن الكريم تحسين صوته به، حتى وإن لم يكن صوته حسنا

فيحسنه ما استطاع، ولا يخرج بتحسينه عن حد القراءة إلى التمطيط المخرِج له عن حدوده، فما كان طبيعة وسجية فهو محمود، وما كان تكلفا وتصنعا فهو مذموم، وهو الذي كرهه السلف.

ومن أدلة تحسين الصوت بالقرآن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال: رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لم يأذن الله لشيء، ما أَذِنَ لنبيٍّ يتغَنَّى بالقرآن يجهر به" متفق عليه.

ومعناه: أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبيٍّ يجهر بقراءته ويحسِّنُها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام طيب الصوت لكمال خَلْقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو -سبحانه وتعالى- يسمع أصوات العباد كلِّهم برهم وفاجرهم.

والأَذَن بمعنى الاستماع، كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١-٥]. أى: استمعت لربها وحقت، أي: وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأَذَن هنا، هو: الاستماع.

وعن فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لله أشد أَذَنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَيْنَةِ إلى قَيْنَتِه» قال ابن كثير: رواه ابن ماجه بسند جيد[1].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لابن كثير ص١٨٠.

رواه مسلم ٧٩٣.

وفي رواية: (والله لو علمتُ أنك تسمع قراءتي، لحبَّرتُها لك تحبيرًا).

وقد كان أبو موسى رضي الله عنه كما قال عليه الصلاة والسلام: قد أعطى صوتا حسنا، مع خشية تامة ورقة أهل اليمن، فدلَّ على أن تحسين الصوت بالقرآن أمر مطلوب، لكن مع مراعاة عدم التكلف في تحسين الصوت، وإخلاص النية لله تعالى، وأن يقصد بتحسين صوته امتثال السنة، وترغيب السامعين لقراءته بسماع القرآن وتدبره، فيؤجر بذلك.

وعن أَبي لُبَابَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»، قَالَ: فَقُلْتُ لِابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِذَا لَمْ يَكُنْ حَسَنَ الصَّوْتِ؟ قَالَ: «يُحَسِّنُهُ مَا اسْتَطَاعَ» رواه أبو داود ١٤٧١، وقال الألباني: حسن صحيح.

وفي عون المعبود ٤/ ٢٤٠: («لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» قَالَ الْخَطَّابِيُّ هَذَا يُتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: تَحْسِينُ الصَّوْتِ، وَالْوَجْهُ الثَّانِي: الِاسْتِغْنَاءُ بِالْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِهِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَيُقَالُ تَغَنَّى الرَّجُلُ بِمَعْنَى استغنى).

وفي شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى ٤/ ٦٦٥: (قال العلماء وهذه الكلمة لها معنيان الأول (من لم يتغن به) أي من لم يستغن به عن غيره بحيث يطلب الهدى من سواه فليس منا فهذا لا شك أن من طلب الهدى من غير القرآن أضله الله والعياذ بالله.

والمعنى الثاني (من لم يتغن) أي من لم يحسن صوته بالقرآن فليس منا فيدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحسن صوته بالقرآن وأن يستغنى به عن غيره).

وقول المؤلف رحمه الله تعالى: (وحُضورِ قلبٍ وتَفكّرٍ وتَفهّمٍ) هذا هو المقصود الأعظم، وهو تدبر القرآن وفهمه، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

(لا صرفُ الهِمَّةِ إلى ما حُجِبَ به أكثرُ الناسِ من الوسوسةِ في خروجِ الحروفِ، وترقيقِها وتفخيمِها وإمالتِها، والنّطقِ بالمدِّ الطّويلِ والقَصيرِ والمتوسّطِ وشَغلِهِ بالوَصلِ والفَصلِ)

أي أن بعض القراء قد انصرفت همته إلى المبالغة في إخراج الحروف، وترقيقها وتفخيمها ونحو ذلك، وهذا مما لا ينبغي، وإنما يُعتنى بأحكام التجويد من غير مبالغة، وتصرف الهمم إلى فهم كلام الله تعالى وتدبره والعمل به.

(والإضجاعِ والإرجاعِ)

الإضجاع في الحركات كالإمالة، والإرجاع: الإعادة والترديد.

(والتَّطريب، وغيرِ ذلكَ مما هو مُفضٍ إلى: تغييرِ كتابِ اللهِ والتَّلاعُبِ بهِ، حائل للقلوب، قاطع عن فَهمِ مُرادِ الرَّبِّ من كلامِهِ)

التطريب هو تحسين الصوت، فيمد القارئ صوته ويرجع فيه ويزينه، والمقصود ما ترتب عليه تغيير كلام الله تعالى، فقد يشبع الحركة فتصير حرفا، فيكون قد زاد في كلام الله تعالى ما ليس منه، أو يمد ما لا يمد من الحروف مراعاة للحن، فيحصل بذلك التلاعب بالقرآن، وهذا مما يصرف القلوب عن فهم كلام الله عز وجل.

وأما التغني بما تقتضيه الطبيعة وتسمح به القريحة، من غير تكلف ولا تمرين فممدوح.

(ومن تأمَّل هدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم وإقرارَهُ أهل كُلِّ لِسانٍ على قِراءَتِهِم تبيَّن له: أنَّ التنطّعَ بالوَسوسةِ في إخراجِ الحروفِ ليسَ من سُنّتِهِ)

أي من تأمل هدي النبي صلى الله عليه وسلم في قراءته للقرآن، وإقراره أهل كل لسان على قراءتهم مع اختلاف ألسنتهم في نطق الأحرف تبين له أن ما يحصل من بعض القراء تنطع وتكلف، ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في شيء.

(وقال: يُكرَهُ التَّلحين الذي يُشبهُ الغِناءَ)

وقال الشيخ: الألحان التي كره العلماء قراءة القرآن بها، هي التي تتضمن قصر الحرف الممدود، ومد المقصور، وتحريك الساكن، وتسكين المتحرك ونحو ذلك، يفعلون ذلك، لموافقة نغمات الأغاني المطربة، فإن حصل مع ذلك تغيير نظم القرآن، وجعل الحركات حروفا، فهو حرام.

(واستحبَّ بَعضُهُم القِراءةَ في المُصحَفِ)

لأن النظر إليه عبادة، ولعله: ما لم يكن من الحفظ أحضر وأخشع.

(ويُستحبُّ الخَتمُ كُلَّ أُسبوعٍ، والدّعاءُ بَعدَهُ)

أي: ويستحب ختم القرآن كل أسبوع، لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «اقرأ القرآن كل أسبوع، ولا تزد على ذلك» ، وإن قرأه في ثلاث فحسن، لقوله صلى الله عليه وسلم لابن عمرو رضي الله عنهما، وقد قال أجد بي قوة، قال: «اقرأه في ثلاث» ، وللترمذي وصححه، (لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث)، ولا بأس فيما دونه أحيانا، وفي الأزمنة والأمكنة الفاضلة، كرمضان خصوصًا الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر، وكمكة، واغتناما للزمان، والمكان، ويتقدر بالنشاط وعدم المشقة، فمن السلف من يختمه في ليلة، ويكره تأخير الختم

فوق أربعين بلا عذر، ويحرم إن خاف نسيانه.

ويستحب أن يدعو بعد ختم القرآن الكريم، لفعل أنس رضي الله عنه، وأما دعاء الختم في الصلاة ففيه خلاف مشهور بين أهل العلم.

(وتَحسينُ كِتابَةِ المُصحَفِ،)

أي ويستحب تحسين كتابة المصحف الشريف، وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط.

(ولا يُخالِفُ خَطَّ مُصحَفِ عُثمانَ في واوٍ أو ياءٍ أو ألفٍ أو غيرِ ذلكَ)

وقاله: أحمد وغيره، وسئل مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، وقال الدارمي: لا مخالف له من علماء الأمة، وقال البيهقي: من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا فإنهم كانوا أكثر علمًا، وأصدق قلبًا ولسانًا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم.

(ويَحرُمُ على المُحدِثِ مَسُّهُ)

أي: ويحرم على المحدث حدثا أكبر، أو أصغر: مس المصحف الشريف وكتب صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر»، وقال ابن عبد البر: أشبه التواتر، وقال أحمد: لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم كتبه له.

وقال الشيخ: مذهب الأئمة الأربعة أنه لا يمس المصحف إلا طاهر، وذكره الوزير، إجماعا، وقال الزركشي: إذا كتب بعض القرآن مفردا عن تفسير وغيره، فإنه لا يجوز للمحدث مسه وإن لم يسم مصحفا، وسواء حصل المس بيد، أو غيرها من أعضائه بلا حائل، ولو بصدره، اتفاقا.

(وسَفَرٌ بهِ لِدارِ حربٍ) أي: ويحرم سفر بالمصحف لدار حرب، لما في الصحيحين: نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو؛ لأنه عرضة إلى استيلاء الكفار عليه، واستهانتهم به.

(ويَجب احترامُهُ)

أي: ويجب احترام المصحف، وحيث كتب كلام الله تعالى، قال النووي: أجمعوا على وجوب صيانة المصحف واحترامه فلو ألقاه والعياذ بالله، في قاذورة كفر، ولكن لو خاف المحدث على المصحف، من حرق أو غرق، أو وقوع نجاسة عليه، أو وقوعه بيد كافر جاز أخذه مع الحدث، بل يجب ذلك صيانة له.

ويحرم توسده، واستناد إليه وجلوس عليه إجماعا ويكره: مد رجل إليه إذا لم يقصد إهانته، وإلا حرم وذكر بعضهم أنه يكفر بذلك.

ويكره استدباره، وتخطيه ورميه إلى الأرض بلا وضع، قال الشيخ، وجعله عند القبر منهي عنه، ومذهب الجمهور: أنه يكره تحليته، بذهب أو فضة وجزم الشيخ بالتحريم، ككتب علم، ويكره، استفتاح الفأل فيه، اختاره الشيخ، وحكى ابن العربي تحريمه.

(وصلَّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحبِهِ وسَلَّم).